OPEN ACCESS
ABHATH
(Research Journal of Islamic Studies)
Published by: ***Department of Islamic Studies, Lahore Garrison University, Lahore.***

ISSN (Print): 2519-7932
ISSN (Online): 2521-067X
July-December-2025
Vol. 10, Issue: 38
Email:abhaath@lgu.edu.pk
OJS:https://ojs.lgu.edu.pk/index.php/abhath/index

الجوانب البلاغية في الخطب النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة و أتمّ السلام

Eloquence and Expression: An Analytical Study of the Rhetorical Features in the Sermons of the Holy Prophet (May the Most Excellent and Perfect Blessings Be Upon Their Deliverer

Fazl ur Rahman
PhD Scholar, Department of Arabic, Minhaj University, Lahore,
fazalarabic@gmail.com
Mumtaz Ahmad Sadidi
Dean, Faculty of Languages Studies, DMIU, Islamabad,
sadidi66@gmail.com
DOI: https://doi.org/10.54692/abh.2025.10381709

Abstract:

This research presents a comprehensive rhetorical evaluation of the eloquence of Prophet Muhammad ﷺ through an analytical study of his authenticated sermons, guided by the classical Arabic rhetorical sciences of bayān (figurative expression), maʿānī (semantic structure), and badīʿ (rhetorical embellishment). It highlights the Prophet's ﷺ extraordinary linguistic precision, semantic depth, and persuasive power—qualities that, despite his unlettered status, reflect a miraculous, divinely bestowed eloquence. Through close textual and stylistic analysis, the study reveals a refined orchestration of rhetorical devices, including metaphor, antithesis, parallelism, and profound brevity, all of which engage the intellect and stir emotion. Endowed with jawāmiʿ al-kalim, the Prophet ﷺ conveyed expansive meanings in remarkably concise speech, serving as a powerful vehicle for moral reform and spiritual guidance. His discourse gracefully merged temporal wisdom with eternal truths, transcending cultural and linguistic boundaries and leaving an enduring imprint on hearts and minds. This scholarly journey through the radiant world of prophetic eloquence

has been both spiritually and intellectually enriching, revealing the aesthetic majesty and pedagogical brilliance of his speech. His sermons continue to shine as a timeless exemplar of sacred oratory, inspiring scholars, educators, and seekers of truth across generations.
Key Words: Rhetoric, Semantic Depth, Rhetorical Devices, Figurative Language, Linguistic Precision, Spiritual Guidance, Eloquence, Prophetic Sermons, Jawāmiʿ al-Kalim, Divine Expression.

الحمد لله الذي فجّر من صدر النبي الكريم، خاتم الأنبياء، ينابيع البيان، وفتق أكمام أفئدة أولي اللسان بأزاهير حدائق الكلام، فهي نافحة بطرائف الكلم وشرائف الحكم؛ صنوانٌ وغير صنوان. وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن معلّمنا ومعلّم البشرية جمعاء، سيدنا محمدًا (ﷺ) عبد الله ورسوله، المُجلّي في ميدان البلاغة والسابق فيه، القاطف من يانع ثمار جنّتي المعاني والمباني، فجنَى الجنتين دانٍ، المُستوي على منبر الفصاحة، المُرتقي في دُرَج البلاغة أعلى مكان. صلى الله عليه وآله وأصحابه، ومن سار على نهجهم واتبعهم بإحسان.

أما بعد: فتُعد الخطبة إحدى الوسائل الفعّالة في الإقناع والتأثير، إذ تجمع بين الأدلة والأساليب البلاغية، مما يجعلها تخاطب الفرد والمجتمع على حد سواء، ولم تقتصر وظيفتها على التوجيه والإرشاد فحسب، بل تجاوزت ذلك إلى التأثير في الوجدان وتحريك المشاعر، كما أنها أداة قادرة على بيان الحقائق وتوضيح المفاهيم.

لقد كان كل من الفصاحة والبلاغة هبتان عظيمتان من هبات الله؛ تساعدان على نشر القيم، وإيصال رسالة الدعوة إلى مكارم الأخلاق، وإحداث تغيير جذري في مجتمع منهار من ناحية العقيدة، والأخلاق، والمبادي. وقد أنعم الله على نبيه (ﷺ) بجوامع الكلم والحكم وبهاتين الهبتين، فكانتا من معجزاته ودليله على صدق رسالته، فبلغ الحبيب المصطفي الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة, وهدى البشرية الضالة إلى سواء السبيل. لذا كان كلامه (ﷺ) – المعجز بلاغيًا – أسمى كلام بعد كلام الله، وقد بلغت كلماته في خطبه وأحاديثه أسمى درجات الفصاحة والبلاغة، وأجلّ مراتب البيان والمعاني، وأبهر صور البديع. وشهد له بذلك أعلام البلاغة وأرباب الفصاحة، بأنه لا يُشقّ له غبار. فهذا الجاحظ، رائد البيان العربي، يصف إيجاز كلام النبي (ﷺ) بقوله:

"هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر معانيه، وجَلَّ عن الصنعة، ونُزِّه عن التكلف، وكما قال الله عزوجل: قل يا محمد: ﴿وما أنا من المتكلفين﴾.[1]

(1) الجاحظ، عمر بن بحر، البيان والتبيين، مؤسسة خانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ج:3، ص:2.

al-Jāḥiẓ, ʿAmr ibn Baḥr. al-Bayān wa-al-tabyīn. Muʾassasat Khānajī, al-Qāhira, al-ṭabʿa al-thālitha, vol. 3, p. 2..

ذكر أحمد حسن الزيات بلاغة الرسول الأعظم من منظور جوامع الكلم، وقال:

"الإيجاز وهو تأدية المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، وذلك هو أسلوب النبي؛ لما عرفنا أن الإيجاز هي ملكة وقة في تأدية التعبير عن المقصود بألفاظ قصيرة ذات المعاني الكثيرة لذا تعد جوامع الكلم من معجزات الرسول وخصائصه فإنها قليلة الألفاظ وكثيرة المعاني".[2]

لقد قال الحبيب المصطفى عليه أطيب التحية والثناء متحدثا بنعمة اللّٰهِ عليه:

"أوتيت جوامع الكلم."[3]

بين الدكتور محمد سعيد ر مضان البوطي معنى كلمة البليغ بقوله:

"والشخص البليغ هو الذي يجيد أن يضع كل كلمة في محلها بهذا يكون الكلام يكون مطابقا لمقتضى الحال."[4]

صرح الرافعي السمات البلاغية في كلام الرسول الأكرم وقال:

"إن النبي استمد البلاغة من كلام الله فكان لبلاغته عليه السلام - سمتها ورونقها الخاص من لسانه الطاهر الشريف." [5]

قال عبدالعزيز خنين مبعدا التكلف والتعسف عن بلاغة النبي الأعظم:

"بلاغته -صلّى الله عليه وسلم-من بلاغته غيره من العرب بأنه أفصح العرب، لايتكلف القول، ولايقصد تزيينه لذات التزيين."[6]

ذكر عباس العقاد سمة إبلاغ النبي الأكرم قائلا:

---

(2) الزيات، أحمد حسن، من وحي الرسالة، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٣هـ، ج:3، ص:107.

al-Zayyāt, Aḥmad Ḥasan. Min waḥy al-risāla. Dār al-Thaqāfa, Bayrūt, 1393 AH, vol. 3, p. 107.

(3) مسند الإمام أحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١هـ، ج:12، ص:366، رقم الحديث: 7403.

Musnad al-Imām Aḥmad. Muʾassasat al-Risāla, Bayrūt, 2001 AH, vol. 12, p. 366, ḥadīth no. 7403

(4) البوطي، محمد سعيد رمضان، في الحديث الشريف والبلاغة النبوية، دار الفكر، دمشق، ص:45.

al-Būṭī, Muḥammad Saʿīd Ramaḍān. Fī al-ḥadīth al-sharīf wa-al-balāgha al-nabawiyya. Dār al-Fikr, Dimashq, p. 45.

(5) الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠١م، ص:274.

al-Rāfiʿī, Muṣṭafā Ṣādiq. Iʿjāz al-Qurʾān wa-al-balāgha al-nabawiyya. Dār al-Kitāb al-ʿArabī, Bayrūt, 2001 CE, p. 274.

(6) عبد العز بن بحر، الدكتور، البيان، (دون اسم الناشر وسنة الطبع)، ص:6.

Abd al-ʿAz b. Baḥr, al-Duktūr. al-Bayān. (no publisher or date listed), p. 6.

"الجانب الغالب على منهاج الرسول هو جانب الإعلام قبل جميع الجوانب، حيث أشار سبحانه عزوجل ﴿وماينطق عن الهوى....﴾ فالمستفاد من هذه الآيات إن خطب النبي كانت فيض الخاطر وعفو البديهة يبدو عليها أثرالإلهام."[7]

لقد أنزل الله القران الكريم على صدر نبيه الخاتم فعلمه ربه بفضله وكرمه ما لم يكن يعلم، وهكذا تبوأ الحبيب المصطفى (ﷺ) ذروة الفصاحة والبلاغة، واعتلى قمة الأخلاق والكمال الإنساني، حتى غدت خطبه نبراسًا للبيان، ومدرسة للبلاغة، ومثالًا يُحتذى في فصاحة اللفظ وصدق المعنى، وقد قال الله عز وجل عن حبيبه المصطفى: وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كَانَ فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكَ عَظِيْمًا. [8]

هذه هي بعض الصفات التي منحها الله لحبيبه المصطفى، وهي من الصفات التي كانت مطلوبة فيمن تولى منصب معلم البشرية ومزكّيها. وقد تناول الباحثون هذه الجوانب في دراساتهم المعمّقة، وستظل هذه الدراسات مستمرةً إلى يوم القيامة. وسيتمر استخراج درر من البلاغة والفصاحة والحكمة من خطب الرسول (ﷺ) على مرّ العصور، وتأتي هذه الدراسات بكل جديدٍ – إن شاء الله تعالى – ولا يتيسّر لنا هنا استعراضُ جميعها. لذا نعود إلى موضوعنا لنسعى للاستفادة والاستنارة من الجانب العلمي، والأدبي، والروحي من خطب الرسول بفضل توفيق الله ورحمته.

الرسول (ﷺ) خطيبا:

لقد بُعث الرسول الكريم معلمًا ومربيًا ومزكيًا للنفوس، ولابد للمعلم أن يتحلى بالإخلاص، وأن يتسم بموهبة التدريس، وأن يكون بليغًا في كلامه، بحيث تخترق كلماته أعماق قلوب تلاميذه، فتُحدث فيهم تحولًا جذريًا، فكان الرسول الكريم يستخدم خطبه للتعليم والتزكية وتهذيب الاخلاق، لم لا فقد اكرمه الله بجوامع الكلم، وأسبغ عليه علم ما لم يكن يعلم، علمه ربه فأحسن تأديبه، وجعله أهلًا مؤهلًا للقيام بمهمة التعليم والإرشاد وهداية البشرية بأسرها. وقد وجّه إمام المرسلين ﷺ بخطبه أنظار الناس إلى كلمة الحق وطريق الرشاد، مستثمرًا في ذلك أساليب البلاغة بعلومها الثلاثة، وهو ما ينبغي أن يتصف به الخطيب الكامل؛

(7) العقاد، عباس محمود، عبقرية محمد، دار الكتاب، لبنان (دون سنة الطبع)، ص:71.

al-ʿAqqād, ʿAbbās Maḥmūd. ʿAbqariyyat Muḥammad. Dār al-Kitāb, Lubnān (no date listed), p. 71

(8) سورة النساء: 113.

Al-Qurān, 4 : 11

إذ لا تكتمل فاعلية الخطبة إلا إذا توافرت فيها مقومات البلاغة: من فصاحة اللفظ، ووضوح المعنى، وجمال التراكيب، فضلًا عن التأثير العاطفي والعقلي معًا.

وكان تدشين خطب النبي الكريم من المدينة المنورة ومنبره الشريف، فخاطب الناس بكلماته العطرة القيمة، ووجم البلغاء، وأطرق الفصحاء، وأفحم الخطباء، وأصاخت أذنُ الزمان إلى منطق يفيض بالبيان، ويموج بالرحمة، و يتضوع بالعدل، وينضح بالصدق، ويتخلل حنايا الصدور، ويستجيش خبايا النفوس، كأن كلماته الشريفات قبس من نور، أو لؤلؤ منثور أو روض منطور؛ فكان الرسول الأعظم أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء ومصقع الخطباء، فارس المنابر، فما أن صعد المنبر إلا وأضم خطيبا، أم ضُمخ طيبا، فينهل من غمائم الوحي ما يعمر القلوب ويملأ النفوس حنينا، يستحث سحائب العيون، ويستدرّ مدامع القلوب، وكان يتكلم بالكلام الذي أودع الله فيه الفصاحة والبلاغة والحكمة. وأكرمه كذالک بالقبول، وحقق له التوازن بين المهابة والحلاوة، فكان كلامه بين حسن الإفهام وقلة عدد حروف الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسخط له كلمة، ولازلت به قدم، ولابارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل كان يبزّ الخطبَ الطوال بالكلم القِصَار، ولايلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولايحتج إلا بالصدق، ولايطلب الفلج إلا بالحق، ولايستعين بالخلابة، ولايستعمل المواربة، ولايهمز، ولايبطئ ولايعجل، ولايسهب ولايحضر، ثم لم يسمع بكلام قط أعم نفعا، ولا أقصد لفظا ولا أعدل وزنا، ولا أمل مذهبا، ولاأكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى ولا أبين في فحوى من كلامه.

عاش النبي (ﷺ) ثلاث عشرة سنة قضاها في مكة المكرمة يدعو إلى التوحيد مواجها الصدود والتكذيب الشديد، ثم انتقل إلى المدينة المنورة، فأسس الدولة الاسلامية النموذجية المباركة، وألقى فيها أكثر خطبه من على منبره الميمون في المسجد النبوي الشريف، والتي كانت مفعمة بالفصاحة والبلاغة والحكمة.

كما أنه (ﷺ) قضى عشرة أعوام من حياته المباركة في البقعة الطاهرة التي تحولت ببركة قدومه إليها من يثرب إلى المدينة المنورة، قلبًا وقالبًا. ولا يخفى على أحدٍ الظروف الصعبة التي أحاطت بالرسول (ﷺ) في حياته المكية، والتي كانت متصفة بكثرة التحديات وشدة المعارضات لدعوته. ولم تخلُ حياته المدنية كذلك من المشاكل والصعوبات، إلا أنه (ﷺ) استطاع، على رغم تلك التحديات، إنجاز العديد من المهام الدعوية، وتحقيق العديد من الأهداف الدينية والإصلاحية. وقد نُقلت عنه أقوالٌ زاخرة بالفصاحة والبلاغة، وتفيض بالحكمة، فكانت مصدر إلهام وهداية على مر العصور.

أما حياته المدنية، فكانت هي الأخرى مكونة من المشاكل والصعوبات. إلا أنه (ﷺ) تمكن من إنجاز كثير من الأمور الدعوية وتحقيقها في تلك البيئة. فنُقلت عنه كلماته المفعمة بالفصاحة والبلاغة والحِكم الكثير. وكل ما نُقل إلينا من دُرره المباركة فهو إما حديث، أو خطبة، أو وصية، أو رسالة. وقد اهتم بها المؤلفون بصفة عامة، وخُطبه المباركة جمعاء بصفة خاصة. ولم يكتفوا بجمع خُطب الجمعة وتدوينها فقط، بل حاولوا استيعاب معظم خطبه بمناسبة الجمعة، والعيدين، والمناسبات الأخرى، مما فاقت خمسمائة من خطب الجمعة التي ألقاها الرسول (ﷺ) على مسامع أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين.

لم لا؟ وقد وردت في كتب الحديث الشريف والتاريخ والسيرة الطيبة أدق تفاصيل حياة النبي (ﷺ) ، حتى لفتاته وإيماءاته، فكيف تفوتها الخطب؟ بل رسائله المباركة إلى الملوك.

لقد ذُكرت خطب الرسول الكريم في الصحيحين وكتب السيرة النبوية، كما ذكرها المؤلفون قديمًا وحديثًا في كتبهم المعروفة. لم نحاول استيعاب أسماء هذه الكتب وأسماء مؤلفيها حتى لا نبتعد عن صلب الموضوع.

خطبه في مكة المكرمة و المدينة المنورة

لم يخطب النبي (ﷺ) الجمعة في مكة قبل الهجرة، وذلك نظرًا للأوضاع المعروفة هناك. أما أول خطبه في مكة، فكانت تلك التي خطبها عندما دعا قومه من على جبل الصفا. وتُعدُّ خطبته في بني سالم بن عوف أول خطبة له في المدينة المنورة بعد الهجرة، والتي ألقاها بمناسبة أول جمعة صلاها بالمدينة المنورة، على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم. كما تُعدُّ خطبة حجة الوداع آخر خطبه في حياته (ﷺ) الدنيوية.

لقد توجهت أكثر خطب نبينا الكريم في المدينة المنورة إلى مستمعيه من منبره المبارك في المسجد النبوي الشريف. وقال الرسول (ﷺ) عن منبره الشريف:

"إن منبري على ترعة من ترع الجنة، وما بين منبري وحجرتي روضة من رياض الجنة." [9]

وبين الحبيب المصطفى شرف منبره هذا بقوله:

"ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي."[10]

(9) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم: 9338.

Musnad al-Imām Aḥmad ibn Ḥanbal, ḥadīth no. 9338.

(10) الجامع الصحيح للبخاري، حديث رقم: 7335.

al-Jāmiʿ al-ṣaḥīḥ li-al-Bukhārī, ḥadīth no. 7335.

كانت كلماته تشرق إشراقة شمس الضحى، ويستعرّ أوارها في القلوب استعار النار في جزل الغضا، وحين تخرج الكلمات خابية خامدة، تصل إلى الأسماع والقلوب الميتة الهامدة، قال سبحانه وتعالى: "وماينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى." [11] فكان كلام الرسول المؤيد بالوحي ليقع من النفوس موقع الوبل من المحل والقطر على القفر، والندى على الزهر؛ لذلك كانت معجزة رسول الله بيانا وكلاما من جنس كلام العرب وبيانها. حاول العلماء والبلاغيون استخراج الجوانب البلاغية من خطب النبي عليه السلام.وكانت الضرورة ملحَّة إلى جمعها وتوثيقها و تحليها حتى يتم نفعها للمسلمين والبشرية جمعاء.

وهكذا كانت فصاحة النبيّ الأميّ (ﷺ) وبلاغته قد بلغت مبلغًا أعجزَ أدباء العصر الجاهلي عن إدراك كُنهها، وخضعت لها عقول العرب وقلوبهم فى العصر الذهبى للأدب العربى، حتى صارت فصاحته (ﷺ) وبلاغته معجزة قائمة بذاتها، لم تدانها مواهب العرب الأدبية ولا قُرِنت بها ملكاتهم البيانية .وإنّ دراسة الجوانب البلاغية في كلام الرسول (ﷺ) تُعدّ عملًا علميًّا وأدبيًّا وروحيًّا في آنٍ واحد؛ لما تحمله من دلالات إعجازية وجمالية. ومن هنا نتشرف بتوفيق الله عزوجل بدراسة مفهوم الفصاحة والبلاغة وتطبيقهما في خطب النبي الكريم كمقدمة موجزة، وستكون هذه الورقة البحثية منطوية على نماذج معدودة من الجوانب البيانية، والبديعية، والمعنوية في خطب الرسول الكريم مع تحليل نصوصها المختارة على سبيل المثال لا الحصر، فلنبدأ ببيان الجوانب البلاغية فيها.

الجوانب البلاغية فى خطب الرسول الكريم

كان الحبيب المصطفي صاحب الكلمة الصادقة حين يُستل لسانُه استلال السيف من غمده، يخوض به معترك البيان، وتختلط حروف بلاغته وبيانه بروحه، وكان الرسول (ﷺ) معلمًا وخطيبا بليغًا في كل كلمة ينطقها بلسانه المبارك، بفضل مرسِله تبارك وتعالى؛ لأن الفصاحة والبلاغة تُعينان على أداء الرسالة، لقد أثَّرتْ كلُّ كلمةٍ قالها الرسولُ (ﷺ) لأصحابه في قلوبهم، وسوف يستمر هذا التأثير البلاغي والروحي من زمن إعلان نبوته إلى يوم القيامة، ومن الجزيرة العربية إلى أنحاء المعمورة. وسنأتي فيما يلي ببعض النصوص المختارة من منظور علم البيان، وعلم المعاني، وعلم البديع وسندرسها دراسة تحليليّة من منظورٍ بلاغيّ لفهم أسرار البيان النبوي، والتفصيل فيما يلي:

أولا: الجوانب البيانية فى خطب الرسول

(11) سورة النجم، الآية: 3.

Al-Qurān, 53:3

لقد كان رسول الله ممسِكًا بعِنان البيان، جامعًا لذلك عدّة العلم. مثقِفا لها رماح الرأي، متدرعا بالإخلاص حالا ومقالا تفهما ومقاما، وقد تميز كلام النبي (ﷺ) بالوضوح والبيان، حيث كان يتحدث بكلمات قليلة تحمل معاني كثيرة، والجوانب البيانية فى خطب الرسول العظيم كثيرة إلا أنه سوف يتم هنا الاستشهاد بالتشبيه ودراسته البلاغية في خطب الرسول الذى أكرمه الله تعالى بفصاحة الكلام وبلاغته وفيما يلى نصوص مختارة من الخطب النبوية۔

النص المختارمن الخطبة النبوية يوم بدر

"أما بعد، فإني أحثكم على ما حثكم الله عليه... وتدركون به النجاة في الآخرة[12]

دراسة تحليلة للنص المذكورأعلاه

التشبيه في قوله:"تدركون به النجاة في الآخرة" حيث شبه الصبر بالسفينة، ومن ركبها نجا من الغرق، وهو تشبيه مفرد بمفرد، وقدجاء التشبيه منسجما مع نص الخطبة من ناحية اللغة والدلالة، فقد انتشر الكثير من الألفاظ التي إن اتبعها الناس وفَّرت لهم طوق النجاة في الآخرة، ومنها: "أنهاكم الصدق، ابتغاء وجه الله، الصبر، يفرج، ينجي، استمسكوا، أبلوا، ألجانا، اعتصمنا، توكلنا. فالمفردات السابقة تدل على مواقف مطلوبة من المسلم القيام بها ليدرك النجاة في الدنيا والآخرة.

النص المختارمن الخطبة النبوية في تبوك

"ياأيها الناس... وشر الأمور محدثاتها، وأحسن الهدي هدي الأنبياء، وأشرف القتل قتل الشهداء وأعمى الضلالة الضلالة بعد الهدى، وخير الأعمال ما نفع."[13]

دراسة تحليلة للنص المذكورأعلاه

يتجلّى التشبيه البلاغي في قول النبي (ﷺ) : "وخير ما أُلقي في القلب اليقين"، حيث شُبِّه اليقين - وهو أمر معنوي غير حسي يُفهم بالعقل - بشيء حسي، وذلك القلب. معناه هنا: تشبيه الحسي بالعقلي. وقد جاء هذا التشبيه إلى أبعد الحدود مع تراكيب الخطبة، وتجلّى ذلك في هذا الكم الهائل من صيغ التفضيل، مثل: أصدق، أوثق، خير، أشرف، أحسن، شر، أعمى، العليا، السفلى، أعظم. و كانت هذه المفردات تدور حول محور مركزي هو اليقين وما يتصل به من العقيدة والسلوك، كما في تعبيرات مثل: " كتاب الله، كلمة التقوى، ملة إبراهيم، سنة محمد، ذكر الله، القرآن، عوازم الأمور، هدى الأنبياء." وقد دخلت هذه المفردات في مقابلات بلاغية مع

(12) الواقدي، محمد بن عمر، مطبعة أكسفورد، لندن، 1966م، ص:58.

al-Wāqidī, Muḥammad ibn ʿUmar. Maṭbaʿat Aksfūrd, Landan, 1966 CE, p. 58.

(13) الغزاوي، مصعب، خطب الرسول الكريم، دار الكتاب، كراتشي، ص:139-140.

al-Ghazzāwī, Muṣʿab. Khuṭab al-Rasūl al-Karīm. Dār al-Kitāb, Karāchī, pp. 139–140.

مفردات أخرى، أظهرت قيمة اليقين وأهميته، من ذلك قول النبي (ﷺ) : "خير الأعمال الذي هو أنفع، وخير الهدى ما اتُّبع، وشر العمى عمى القلب، واليد العليا خير من اليد السفلى، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى."

أما التشبيه الثاني في النص المختار أعلاه، فهو يتمثّل في قوله: "والغلول من جُمر جهنم"، حيث شُبّه الغلول: "الخيانة"، بالجُمر من جهنم. ويقف هذا التشبيه في مقابلة ضمنيّة مع التشبيه الأول، ليكشف أن اليقين الذي يقرّ في القلب هو الخير، لأنه يؤدي إلى مرضاة الله والجنة، وما دونه يؤدي إلى الهلاك والجحيم.

أما التشبيه الثاني الوارد في النص، فهو قوله (ﷺ) " :والغلول من جمر جهنم"، حيث شُبّه الغلول، وهو الخيانة وأخذ المال بغير وجه حق، بـ جمر جهنم، أي نارها الملتهبة. وهذا التشبيه يقف في مقابلة ضمنية مع التشبيه الأول، فكأنما يُراد منه أن يُظهر النقيض التام:فالذي يُلقى في القلب من يقين هو سبب النجاة والفوز، بينما ما يُرتكب من غلول يقود إلى العذاب والهلاك. بهذا التوازن البلاغي بين التشبيهين، ترتسم أمام السامع صورة مكتملة للمسار الروحي بين النجاة والهلاك، بين النور والظلمة، مما يُظهر قدرة النبي (ﷺ) على تصوير المعاني الجليلة بأدق العبارات وأقواها تأثيرًا.

النص المختار من الخطبة النبوية في النساء.

"وإن منكم من يدخل الجنة، وجمع أصابعه، وجُلُّكُنَّ حطب جهنم.... فقال: "لأنكن تكثرنّ اللعن وتكفرّن العشير وتسوّفنَ الخير."[14]

دراسة تحليلة للنص المذكور أعلاه

التشبيه في قوله: "وجُلُّكنّ حطب جهنم." حيث شبه النساء المتصفات بالصفات المذكورة بعاليه بالحطب الذي توقد بها نار جهنم، وهذا التشبيه مفرد، وسر جماله: توضيح الفكرة برسم صورة لها، وهذا التشبيه يتجدل ونص الخطبة من خلال العلاقة القائمة بينه وبين النص وهي علاقة "المسببية" فالنساء حطب لنيران جهنم، لأنهن يكثرن اللعن، ويكفرن العشير، ويسوفن الخير. وفي هذا تحذير لهن من هذه الأعمال لنجاة أنفسهن من جهنم وعذابها.

النص المختار من الخطبة النبوية عن خضرة الدنيا.

"ألا إن الدنيا خضرة حلوة، ألا وأن الله مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعلمون، فقالو الدنيا ... إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى."[15]

---

(14) الغزاوي، مصعب، خطب الرسول الكريم، ص:195

al-Ghazzāwī, Muṣʿab. Khuṭab al-Rasūl al-Karīm, pp. 195.

(15) ايضاً Ibid

دراسة تحليلة للنص المذكورأعلاه.

و المفهوم من هذا النص أن يوم القيام قريب، ولا يعلم أحد ميعاده إلا الله سبحانه وتعالى، وقد تعاضد هذا التشبيه منأل خضمة المعنى السابق مع تشبيه آخر في نص الخطبة في قول رسول الله: "إن الدنيا خضرة حُلوة." حيث شبهها الرسول الكريم بشجرة خضراء ثمارها حلوة، ونبه على ان هذه الدنيا الخضرة فانية، فلايمكن أن تستمر في حفظ اخضرارها وحلاوة ثمارها إلى الأبد، فلا بد من زوالها وكذلك الدنيا.

النص المختارمن الخطبة النبوية عند فتح مكة۔

"لا إله إلا الله وحده لاشريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده ... ثم تلا الآية: " يٰٓاَيُّهَا النَّاسُ اِنَّا خَلَقْنٰكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَّ اُنْثٰى وَ جَعَلْنٰكُمْ شُعُوْبًا وَّ قَبَآئِلَ لتعارفون إن اَكْرَمَكُمْ عندالله اَتْقٰىكُمْ إن الله عليم خبير"[16] ثم قال: يا معشر قريش ماترون إني فاعل فيكم ؟ ... قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء." [17]

دراسة تحليلة للنص المذكور أعلاه.

تمثل التشبيه في الخطبة السابقة في قول النبي: "إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء." وهذا تشبيه ضمني حيث قام الرسول الكريم بتشبيه إذهاب نخوة الجاهلية وتعظيم الآباء بإزالة الأشياء الضارة من الطريق، وقد استدعى هذا التشبيه مكان ما أذهبه الله في نص الخطبة قوله عزوجل:" يٰٓاَيُّهَا النَّاسُ اِنَّا خَلَقْنٰكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَّ اُنْثٰى وَ جَعَلْنٰكُمْ شُعُوْبًا وَّ قَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوْا،اِنَّ اَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّٰهِ اَتْقٰىكُمْ اِنَّ اللّٰهَ عَلِيْمٌ خَبِيْرٌ." [18] فالآية كما أراد التشبيه السابق أن يقوله، قد أسست لمفاضلة جديدة بين الناس وهي التقوى التي هي معيار الكرامة، وأسست كذلك النوع الجديد من العلاقة يقوم على التعارف والتواشج لا التناحر والتهارش.

يحدثنا الدكتور عبدالقادر حسن عن جماليات التشبيه:

"القيمة الفنية للتشبيه يضفي على المعنى شرفا ووضوحا، ويزيده قوة وتأكيدا، ويرفع من قدر الكلام فتهفوا النفس له، ويتحرك القلب إليه، لأنه ينقل بنا من

(16) سورة الحجرات: 13.

Al-Qurān, 49 : 13

(17) العزاوي، خطب الرسول الكريم، ص:136–137.

al-ʿAzzāwī. Khuṭab al-Rasūl al-Karīm, pp. 136–137.

(18) سورة الحجرات: 13.

Al-Qurān, 49 : 13

المعنى الأصلي إلى صورة تشبهه، وكلما جلا التشبيه المعنى، وزاد قوة ووضوحا، كان أملك للنفس وأبعد للتأثير."[19]

النص المختارمن الخطبة النبوية عن الشبهات بين الحلال والحرام.

"ومن وقع فيها كان كالراعي إلى جنب الحمى أوشك أن يقع فيه." [20]

دراسة تحليلة للنص المذكورأعلاه.

لقد توافرت في هذا التشبيه النبوي جميع أركانه: فالمشبَّه هو من يقترب من الأمور المشتبهة بين الحلال والحرام، والمشبَّه به هو الراعي الذي يرعى قرب الحِمى، وأداة التشبيه هي الكاف، ووجه الشبه هو الاقتراب من الشيء دون ضمان النجاة من الوقوع فيه. وإن الناظر في دقة هذا التشبيه يدرك مدى توظيفه البلاغي في إظهار المعنى والتنفير منه، إذ يمثّل وسيلة إقناعية لا تُنكر، حيث بيّن النبي (ﷺ) أن بين الحلال والحرام أمورًا مشتبهة، لا يتبيّن حكمها للكثير من الناس، ونفّر من الاقتراب منها. ولأجل ذلك، أتى بالتشبيه ليكون حجة دامغة، وسندًا عقليًّا مقنعًا في التحذير والتنفير، فقال ما معناه: "ألا وإن لكل ملكٍ حِمى، ألا وإن حِمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة"... فما مَثَلُ من يقترب من الأمور المشتبهة إلا كمَثَلِ راعٍ يرعى قُرب أرضٍ مزروعة محمية، يقول: "لن أرعى فيها"، فهل يضمن هذا الراعي ألّا يغفل لحظةً، فإذا به قد دخل الحِمى؟ وكذلك من يقترب من المشتبهات لا يأمن أن يقع في الحرام، ومن هنا يقتنع السامع بوجوب الابتعاد عن تلك المواطن، اتّقاءً لما قد يؤدي إلى تجاوزها نحو المحظور. وقد ورد هذا النوع من التشبيه في خطب النبي (ﷺ) المعلم، ليؤكد كيف يوظف البلاغة في ترسيخ القيم وتحقيق الإقناع العقلي والوجداني معًا.

هكذا كان الرسول الأميّ (ﷺ) متمكّنًا من ناصية البيان، وكان بليغًا بطبعه، فصيحًا بفطرته، يشهد له بذلك قول الله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[21] إذ كانت أميّته (ﷺ) من أعظم آياته ومعجزاته، فلم تكن أميّته بمعنى الجهل كما توهّم بعضُ ذوي العقول القاصرة والعياذ بالله، بل كانت مظهرًا من مظاهر الإعجاز الربّاني. فقد نشأ (ﷺ) لا يقرأ كتابًا ولا يخطّ سطرًا، ولم يتتلمذ على يد أحدٍ من البشر، ومع ذلك أتى معلمَ

(19) عبد القادر حسن، القرآن والصور البيانية، دار المنار، ص:98.

Abd al-Qādir Ḥasan. al-Qurʾān wa-al-ṣuwar al-bayāniyya. Dār al-Manār, p. 98.

(20) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطباء العرب في العصور الزاهرة، المكتبة العلمية، بيروت، ط1، ج1، ص:150.

Aḥmad Zakī Ṣafwat. Jumhurat khuṭabāʾ al-ʿArab fī al-ʿuṣūr al-zāhira. al-Maktaba al-ʿIlmiyya, Bayrūt, ṭ. 1, vol. 1, p. 150.

(21) سورة الرحمن، 1–4.

Al-Qurān, 55 :1–4.

البشرية جمعاء ببيانٍ أعجزَ البلغاء، وأسكت الفصحاء، وتحدّى بفصاحته عقولَ العرب وقلوبهم. كما قال سبحانه: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾.[22] فأميّته (ﷺ) كانت آية ناطقة بصدقه، ودليلًا ساطعًا على أن ما جاء به من الوحي والبيان ليس من كسب بشر، بل هو وحي من الله، أنزله على قلب حبيبه نورًا ورحمة وهُدى للعالمين. فلم يكن يقرأ كتابًا ولا يخطّ حرفًا قبل اعلان النبوة، ومع ذلك أتى ببيانٍ أفحم البلغاء، وأدهش الفصحاء، وتحدّى به العربَ في ذروة فصاحتهم وبلاغتهم. لقد كان ذلك من تعليم الرحمن، وتأديب ربّ العالمين، كما قال نبيّه (ﷺ) : 'أدّبني ربّي فأحسن تأديبي'.[23] فكان كلامه معصومًا، وبيانه موصولًا بالوحي، ففاض من مشكاة النبوة ما لا يُدرك بالدرس والتعلُّم، بل كانت بلاغتة نورا من عند الله، يجري على لسان نبيّه ليهدي به من يشاء من عباده. ومن هنا تجلّت بلاغته (ﷺ) في خطبه الشريفة، وأحاديثه المنيفة، ورسائله إلى الملوك والسلاطين، فكانت بلاغةً نبوية مُلهَمة، لا مكتسَبة، وآيةً خالدة من آيات الرسالة، وعظمة من أوتي جوامع الكلم، فبلغ الغاية في الإقناع، وأدرك القلوب والضمائر بأوجز العبارات وأبلغها.

نص الخطبة النبوية في توصيف حالنا.

"يا أيها الناس كأن الموت عَلَى غَيْرِكُمْ كُتِبَ وَ كَأَنَّ اَلْحَقَّ عَلَى غَيْرِكُمْ وَجَبَ ... كُلَّ وَاعِظٍ وَرُمِينَا بِكُلِّ فَادِحٍ وَجَائِحَةٍ"[24]

دراسة تحليلة للنص المذكور أعلاه.

هنا يصف الرسول (ﷺ) حالنا مع موتانا، فالمشبَّه هو الضمير المفهوم من قوله: "نبّوئُ، ونأكلُ"، والمشبَّه به هو "مُخلَّدون"، وأداة التشبيه هي "كأنَّ"، ووجه الشبه هو عدم الاتعاظ بالموت؛ لأن الإنسان لا يتعظ بموت غيره إذا ظن أن الموت لن يناله.

والملحوظ في جماليات هذا التشبيه أن المشبَّه به كان وصفًا مشتقًّا "مخلدون"، وهذا أمر قليل الحدوث في الكلام، إذ المعهود في التشبيه أن يكون بالذوات أو المعاني، فلا يُعهد مثلاً: "فلان كالضارب" أو "كالهارب"، بل التشبيه بالمشتق في الخطبة النبوية حسن كل الحسن، ونزل

(22) سورة العنكبوت، 48.

Al-Qurān, 49 : 48

(23) الهندي، علي المتقي بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، 1405هـ، ج:11، ص:406، رقم الحديث: 31893.

al-Hindī, ʿAlī al-Muttaqī ibn Ḥisām al-Dīn. Kanz al-ʿUmmāl fī Sunan al-Aqwāl wa-al-Afʿāl. Muʾassasat al-Risāla, 1405 AH, vol. 11, p. 406, ḥadīth no. 31893.

(24) أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، ج:1، ص:153.

Aḥmad Zakī. Jumhurat khuṭab al-ʿArab, vol. 1, p. 153.

في مكانه كأنّه اللبنة المحكمة في الجدار. وهذا التشبيه يوضح مبالغة الناس بعدم الاكتراث بالموت وعدم الاتعاظ بفقد الأقارب، حتى قرّبوا أو أشبهوا من صفته، وهي الخلود، التي وإن لم تكن موجودة، فقد حسن التشبيه بها زيادة في تعظيم شأن المخاطبين، إذ أنزلوا أنفسهم منزلة لا يتوقعها عاقل، ولا يمكن الوصول إليها. ولذا يعد هذا التشبيه من نماذج التشبيهات المفردة في خطب النبي (ﷺ).

نص الخطبة النبوية في تذكير الموت

"أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا....عما قليل إلينا راجعون."[25]

دراسة تحليلة للنص المذكور أعلاه.

يتمثل المُشبَّه في الموتى، والمُشبَّه به في السفر، أي في القوم المسافرين. كما تقول : "الشَّرْب " أي: القوم الشاربون، جمع "شارب"، و"السَّفَر" جمع "مسافر." ووجه الشبه هو: الرجوع بعد قليل، فالتشبيه هنا مستوفٍ أركانه، مُستجمِع عناصره. وهو أحد ثلاثة تشبيهات، غاب وجه الشبه في الاثنين الآخرين، فكانا من التشبيه المُجمَل.

وهكذا تجلّت براعة النبي الكريم (ﷺ) في استخدام التشبيه وغيره من الأساليب البلاغية، بما يعكس فصاحته وبلاغته الفريدة التي تخاطب عقول الناس وقلوبهم في كل زمان ومكان. لقد كانت خُطَبه (ﷺ) نورًا يهدي البشرية جمعاء في مشارق الأرض ومغاربها، لا في زمنٍ محدود، بل يمتد أثرها منذ إعلان نبوّته إلى يوم القيامة، تزرع العلم واليقين في القلوب، وتحثّ على العمل والهداية. إنها بلاغة نبوية موصولة بالوحي، تمزج بين الحكمة الربانية والجمال البياني، وتصل إلى النفوس بسلاسة فتستقر في أعماقها، وتظلّ خالدة في ذاكرة الإنسانية جيلًا بعد جيل إلى يوم القيامة، شاهدة على صدق الرسالة المحمدية وسموّها. لم يكن هذا الجمال البياني مجرّد زينة لفظية، بل كان مدخلًا فاعلًا إلى نفوس المستمعين، حيث يخترق وجدانهم ويستقرّ في أعماقهم، وهو ما يفسّر التأثير العظيم الذي أحدثته الخطب النبوية في نفوس الصحابة ومن جاء بعدهم.

ثانيا: الجوانب المعنوية من خطب الرسول الكريم

كان النبي (ﷺ) يُتقن فنَّ القول، فكان يختار الأسلوب المناسب لكل مقام في خُطَبه، فيستخدم الأمر والنهي، ويوجّه التحذير إلى مستمعيه، ويُرتّب النتائج، مما جعل خُطَبه نموذجًا فريدًا في البلاغة العربية. وتتجلّى نماذج الإيجاز علم المعاني - وهو من أبرز ما يدلّ على فصاحة

(25) الفيومي، أحمد محمد علي، المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ج:1، ص:278.
al-Fayyūmī, Aḥmad Muḥammad ʿAlī. al-Miṣbāḥ al-Munīr. al-Maktaba al-ʿIlmiyya, Bayrūt, al-ṭabʿa al-ūlā, vol. 1, p. 278.

النبي (ﷺ) وبلاغته - في خطبه الشريفة، فنجد هذا الجانب واضحًا في كلامه البليغ. ونورد فيما يلي بعض النماذج الدالة على الإيجاز:

الإيجاز في الخطب النبوية

يتميّز الإيجاز بأنه يُعبّر عن المعاني الكثيرة التي تجول في الصدر وتخطر بالبال، بألفاظٍ قليلة تُؤدّي الغرض المقصود، مع الإبانة والإفصاح رغم قلّة الألفاظ.وهكذا تستطيع الكلمات القصيرة أن تجمع مكارم الأخلاق بأسرها، أو تَحمل في طيّاتها حكمًا كثيرة.

نص الخطبة النبوية عند نزول آية الإنذار

"عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾،[26] خرج النبي الكريم ... فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟ قالوا: ماجربنا عليك كذبا. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، قال: فقال أبو لهب: "تبا لك أما جمعتنا إلا لهذا؟"، ثم قام فنزلت هذه السورة: تبت يدا أبي لهب وتب".

دراسة تحليلة للنص المذكورأعلاه.

يوجد في هذا النص إيجاز بالحذف، وهو حذف جزء من الجملة دون أن يختل المعنى، لوجود قرينة تدل على المحذوف. ويُسمّى هذا الأسلوب إيجازًا بالحذف.ومن أمثلته قول النبي (ﷺ) " :إن خيلًا تخرج بسفح هذا الجبل، أكنتم مصدّقي؟"ففي قوله" :أكنتم مصدّقي؟"، حُذفت جملة" :فيما أقول من كلام"، إذ دلّ عليها السياق.

نموذج من الخطبة النبوية بمكة حين دعا قومه.

"إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعا، ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون ولتجزون بالسوء سوءا وبالإحسان إحسانا. وإنها لجنة أبدا، أو لنار أبدا."[27]

دراسة تحليلة للنص المذكورأعلاه.

يوجد في هذا النص حذف كلمتين، مثل قوله (ﷺ) " :الرائد لا يكذب أهله"، وقد حُذفت منه كلمتا" :في قومه "لدلالة السياق عليهما. أما قوله" :ما غررتم"، فقد حُذف منه" :عملًا وفعلًا." وكذلك في قوله" :وإنها لجنة، أو لنار أبدًا"، حُذفت منه كلمتا" :في الآخرة."

(26) العزاوي، خطب الرسول الكريم، ص: ١٢٣.

al-ʿAzzāwī. Khuṭab al-Rasūl al-Karīm, p. 123.

(27) البلاذري، أنساب الأشراف، ص:119.

al-Balādhurī. Ansāb al-ashrāf, p. 119.

ويُلاحظ أيضًا في هذا النص حذف أكثر من كلمة، كما ورد ذلك في قوله" :أو لنار" حيث حُذفت عبارة" :إنها في الآخرة"، وهذا الحذف يُبرز براعة النبي (ﷺ) المعلم في استخدام الإيجاز، ويدل على إدراكه لفصاحة السامعين من العرب ومهارتهم في فهم المقصود من السياق، إذ كانوا أهل بيان وبلاغة.

نموذج من الخطبة النبوية يوم الأحزاب:

"والذي بعثني بالحق إنهم لأحزاب الشيطان يحدثونهم فيكذبونهم ويمنونهم فيغرونهم ويعدونهم فيخلفونهم والله ما حدثتكم فكذبتكم ولا منيتكم فغررتكم ولا وعدتكم فأخلفتكم اللهم إضرب وجوههم وأكل سلاحهم ولاتبارك لهم في مقامهم اللهم مزقهم في الارض تمزيق الرياح الجراد والذي بعثني بالحق لئن أمسيتم قليلا لتكثُرن، ولئن كنتم أذلة لتعزُنّ، ولئن كنتم وُضعاء لتشرَّفن."[28]

دراسة تحليلة للنص المذكور أعلاه.

نجد فيه سِمَة الإيجاز، بحذف أكثر من كلمة، مثل قوله: "والذي بعثني بالحق"، فقد حُذف منها: "هادياً ومعلماً ومرشداً بالحق"، لدلالة السياق عليه. كما نجد في هذا النص حذف جملة، مثل قوله: "لَئِن أَمْسَيْتُم قليلاً لَتَكْثُرُنَّ"، إذ حُذِفَ منها: "لتُصْبِحُنَّ كثيراً"، لدلالة السياق. ويوجد في هذا النص أيضاً حذف كلمة، مثل قوله: "يُحدّثهم"، حيث حُذِفَت كلمة "الشياطين" لدلالة السياق، وكذلك قوله: "يُمَنّونهم"، حُذِفَت "الشياطين" أيضاً لدلالة السياق. وقوله: "ولَئِن كنتم أذلّةً لَتُعَزَّنَّ"، حُذِفَت منه كلمة "الآن"، وكذلك قوله: "ولَئِن كنتم وُضعاءَ لَتُشَرَّفُنَّ"، حُذِفَت "الآن" أيضاً، للدلالة على فهم المعنى. وفي هذا الإيجاز، تتجلّى قدرته على إصابة المعنى وإيصاله إلى السامعين بأقل الألفاظ، ويعكس في الوقت نفسه فصاحته ونباهة من يُخاطبهم. وتتألّق جوانب الإيجاز في خُطب الرسول الكريم بين الحين والآخر دون تكلّف أو تصنّع، بل كانت تصدر بشكل عفوي. فإذا كان الله تبارك وتعالى هو معلّم حبيبه، فكيف لا تصدر عنه نصوص غنية بذاتها؟ عفوًا للخاطر.

لم يكن هذا الجمال البياني مجرّد زينة لفظية، بل كان مدخلًا فاعلًا إلى نفوس المستمعين، حيث يخترق وجدانهم ويستقرّ في أعماقهم، وهو ما يفسّر التأثير العظيم الذي أحدثته الخطب النبوية في نفوس الصحابة ومن جاء بعدهم.

---

(28) الصالحي، محمد يوسف، سبل الهدى والرشاد، وزارة الأوقاف، مصر، 1997م، ج:2، ص:232.

al-Ṣāliḥī, Muḥammad Yūsuf. Subul al-hudā wa-al-rashād. Wizārat al-Awqāf, Miṣr, 1997 CE, vol. 2, p. 232.

ثالثا: الجوانب البديعية من خطب الرسول

تميزت خُطب النبي (ﷺ) باستخدام الأساليب البديعية دون تكلّف أو تصنّع، مما يُظهر التوازن بين الألفاظ والمعاني. الصالحي،

نص الخطبة النبوية الأولى والتي ألقاها بمناسبة الجمعة في المدينة المنورة

"الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأستغفره وأستهديه (وأومن به ولاأكفره، وأعادي من يكفره) وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأن محمد عبده ورسوله، أرسله بالهدى والنور والموعظة، على فترة من الرسل، وقلة من العلم، وضلالة من الناس ... ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط، وضل ضلالا بعيدا وأوصيكم بتقوى الله ..."[29]

استعمل النبي (ﷺ) في هذه الخُطبة مجموعةً من العناصر البلاغية، كان من أبرزها الطباق، وقد ظهر ذلك في قوله حين بدأ بالحمدلة" :الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأؤمن به ولا أكفره". فنلاحظ أن كلمتي الإيمان والكفر متضادتان، وهذا يُعد طباق الإيجاب .ومن المعلوم أن الطباق ينقسم إلى قسمين :طباق الإيجاب وطباق السلب. ثم ذكر النبي (ﷺ) الهداية والضلالة، وكذلك الرُشد والغَيّ، وكلُّ واحدةٍ من هذه الكلمات نقيضُ الأخرى، وهذا ما يُسمى طباقًا في علم البديع. ويُعد الطباق من أشهر مباحث علم البديع؛ لما فيه من إظهار للجمال البلاغي. فإن كان الجمال من ناحية اللفظ، سُمِّي محسِّنًا لفظيًّا، وإن كان من ناحية المعنى، سُمِّي محسِّنًا معنويًّا.

ولقد واصل معلم البشرية خطبته قائلا:

"ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولايملكون منه".[30]

تحليل النص المختار من الخطبة المذكورة أعلاه

هذا هو طباق السلب، علمًا أن ما ذُكر آنفًا كان من قبيل طباق الإيجاب، أما هنا فقد ورد طباق السلب، وهو ما يكون فيه الضدان مختلفين في الإثبات والنفي. ويُعد الطباق في هذا السياق من الأدوات البلاغية الأساسية في التفهيم والتوضيح؛ إذ إن وجود الضدّين يُسهم في تجلّي المعنى ووضوحه. وقد استخدم النبي (ﷺ) هذا الأسلوب ضمن ما يُعرف بأسلوب

(29) أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، ص:148–149.

Aḥmad Zakī. Jumhurat khuṭab al-ʿArab, pp. 148–149.

(30) الصالحي، سبل الهدى والرشاد، ج:3، ص:232.

al-Ṣāliḥī. Subul al-hudā wa-al-rashād, vol. 3, p. 232.

المقابلة، وهو من الوسائل البلاغية المؤثرة، حيث تتضح المعاني وتُبرز المفارقات. وقد صرّح النبي بذلك في قوله:"من يُطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يَعصِهما فقد غوى وفرّط".
ففي هذا القول تتقابل الطاعة مع المعصية، والرُّشد مع الغَيّ، مما يُعطي وضوحًا بيانيًا وقوةً في إيصال المعنى.

ومن الأساليب البلاغية التي زخرت بها خطب النبي (ﷺ)، المحسّنات البديعية، التي أضفت على خطبه الشريفة جمالاً لفظيًّا وروعةً معنوية. وقد تناولت هذه الدراسة نماذج من الطباق في خطب الرسول ، باعتباره من أبرز هذه المحسّنات، لتُبرز روعة الأسلوب النبوي، ودقة انتقائه للألفاظ والمعاني، بما يخاطب العقول، ويلامس القلوب، ويستقر في الوجدان".

ومن بين الأساليب البلاغية التي استقرت بها خطب النبي (ﷺ) المحسّنات البديعية، والتي كان لها دورٌ كبير في إضفاء الجمال اللفظي والروعة المعنوية على خطبه. وقد تمّ في هذه الدراسة إيراد نماذج من الطباق، وهو أحد أبرز هذه المحسنات، للدلالة على روعة الأسلوب النبوي، وحسن اختياره للألفاظ والمعاني بما يخاطب العقول ويستقرّ في القلوب.

نتائج الورقة البحثية

لقد كانت هذه الرحلة الميمونة في رياض البلاغة النبوية باعثًا على السرور، ومصدرًا للمتعة الروحية والفكرية، إذ وقفنا على أبهى مظاهر البلاغة والأسلوب في خُطب النبوية، وتلمّسنا روعةَ أسلوبه الفريد في الدعوة والإرشاد، وعظمة بيانه في تبليغ الرسالة. ومن أبرز النتائج الرئيسية للدراسة والتي توصّلنا إليها كما يلي:

1. بُعث النبي الكريم (ﷺ) معلمًا ومربيًا ومزكيًا للنفوس، ولا بدّ للمعلم أن يتحلّى بالإخلاص، ويمتلك موهبة التعليم، ويُتقن التعبير ببلاغة تؤثر في القلوب والعقول، فتحدث كلماته تحوّلًا جذريًا في أعماق تلاميذه. ومن هنا، كان النبي (ﷺ) يستخدم خطبه وسيلة للتعليم والتزكية وتهذيب الأخلاق، فهو الذي أكرمه الله بجوامع الكلم، وأسبغ عليه علمًا لم يكن يعلم، فربّاه ربه فأحسن تأديبه، وجعله أهلًا للقيام بمهمة التعليم والإرشاد وهداية البشرية بأسرها.
2. وكان النبي الأمي (ﷺ)أفصح العرب في العصر الذهبي للأدب العربي، وكانت أمّيته في ذاتها معجزة بيانية قائمة تدل دلالة واضحة على أن علمه وبلاغته وبيانه تعليم رباني لا أثر فيه لاكتساب بشري. وقد تجلت الخطب النبوية في صور الإعجاز البلاغي الفريد، الذي كان نابعًا من تعليم الله تعالى له مباشرة، لا من أثر بشر على وجه المعمورة، ولا من تعليم ملك من الملائكة، ليظل بيانه ﷺ آية خالدة على صدق نبوته، ومعجزة ناطقة بوحي السماء.

3. تميزت الخطب النبوية بأرقى درجات الفصاحة والبلاغة، إذ كانت مؤيدة بالوحي، جامعة بين الإيجاز والإعجاز، وقد شهد لها كبار البلغاء وأئمة البيان قديماً وحديثاً. كما امتازت بتنوع بلاغي شامل جمع بين الجوانب البيانية والبديعية والمعنوية.

4. كان النبي (ﷺ) يُتقن فن القول، فيختار لكل مقام الأسلوب المناسب، وتجسدت في خطبه نماذج بارزة من الإيجاز في علم المعاني، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهو ما يظهر بوضوح في بلاغته الباهرة وكلامه المؤثر.

5. تنوعت الأساليب البلاغية في الخطب النبوية، فاستخدمت أبرز فنون البلاغة العربية، كالتشبيه، مما يعكس عمقها الفني وجمالها التأثيري في نفوس السامعين. ولم يكن هذا الجمال البياني مجرد زينة لفظية، بل كان وسيلة فاعلة لاختراق وجدان المستمعين، والاستقرار في أعماق نفوسهم، وهو ما يفسر الأثر البالغ الذي تركته تلك الخطب في نفوس الصحابة ومن جاء بعدهم.

6. كان استخدام النبي(ﷺ) للمحسنات البديعية في خطبه بالغ الروعة، ولا سيما الطباق، لما له من أثر في جمال الألفاظ وقوة المعاني، مما جعل خطبه أبلغ في التأثير وأعمق وقعًا في العقول والقلوب.

7. أثرت البلاغة النبوية تأثيرًا بالغًا في المستمعين، فاستقرت في قلوب العرب والعجم، وخضعت لها عقول الفصحاء، وبهت لها الخطباء، فكانت مفتاحًا لهداية القلوب واستنارة العقول على مر العصور.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License